منهج العلَّامة العتر
في تحقيق نصوص المصطلح

أ. د. محمود مصري
جامعة السلطان محمَّد الفاتح الوقفية - تركيا

ملخص

لم تكن قواعد علم تحقيق النصوص قد نضجت واستقرَّت عندما بدأ الشيخ عتر رحمه الله يقتحم هذا المضمار الذي كان الدخول فيه مقتصرًا على مجموعة محدودة من الأساتذة، وليس مفتوحًا لكل من هبَّ دبَّ كما هو الحال اليوم، ومن اللافت أن يبدأ وضوح المنهج ونضوجه لديه مع أول عمل تحقيقي له هو إخراجه لكتاب ابن الصلاح، ثم تتابعت أعماله التحقيقية، وكان منها في مجال علوم المصطلح: إرشاد طلاب الحقائق للإمام النووي، ونزهة النظر للحافظ ابن حجر.

وسوف نقف في هذا البحث على العناصر الأساسية في خطوات تحقيق النص المتعلق بعلوم المصطلح عند الأستاذ عتر، ومنهج الدراسة التي تناول من خلالها تلك النصوص.

الكلمات المفتاحية: نور الدين عتر، تحقيق النصوص، مصطلح الحديث، النووي، ابن الصلاح، ابن حجر.

Nureddin Itir'ın Hadis Usulü Eserlerini Tahkik Metodu

Prof. Dr. Mahmud Mısrî

Özet

Üstad Nureddin Itir, tahkik sahasına girmeye başlamadan önce metin tahkik ilminin kural ve kaideleri olgunlaşmış ve yerleşmiş değildi. Nitekim bu alan, günümüzde olduğu gibi herkesin dahil olabileceği bir alan olmayıp belirli sayıdaki bir akademisyen grubu ile sınırlıydı. Tahkik metodunun açıklığa kavuşması ve yaygınlaşmasının Itir'ın, İbnü's-Salah'ın kitabını neşrettiği ilk tahkik çalışmasıyla başlaması dikkat çekicidir. Üstadın tahkik çalışmaları daha sonra devam etmiş ve bu meyanda İmam Nevevî'nin İrşâdu Tullâbi'l-hakâik'i ile İbn Hacer'in Nüzhetü'n-Nazar eserlerini tahkik ederek yayımlamıştır. Bu araştırmamızda Nureddin Itir'ın, hadis usulü metinlerinin tahkikinde takip ettiği başlıca esaslar ve bu metinleri ele aldığı çalışma yöntemi üzerinde durulacaktır.

Anahtar Kelimeler: Nureddin Itir, tahkik, hadis usulü, Nevevî, İbnü's-Salah, İbn Hacer.

Shaykh Nūr al-Dīn ʿItr's Method of Editing Ḥadīth Nomenclature Texts

Prof. Dr. Maḥmūd Maṣrī

Abstract

When shaykh al-ʿItr joined the field of editing texts, the foundations of the field have not been laid down yet. At that moment, the field was just occupied by experts and specialists and not widely exposed, as we see later, to all of these non-experts. Noteworthy that the method started to be flourished with the first editing project Shayk ʿItr did, the Muqaddima of Ibn al-Ṣalāḥ. Then many editing works were done by the shaykh among them are al-Nawawī's Irshād ṭullāb al-ḥaqāʾiq and Ibn Ḥajar's Nuzhat al-naẓar. This paper attempts to analyze the core elements and the approaches that Shaykh ʿItr followed in editing the Ḥadīth nomenclature Texts.

Keywords: Nūr al-Dīn ʿItr, texts' editing, Ḥadīth nomenclature, al-Nawawī, Ibn al-Ṣalāḥ, Ibn Ḥajar.

لا شكَّ أن تحقيق الكتب الحديثية شغل كثيرًا من علماء الحديث المعاصرين؛ خصوصًا في النصف الثاني من القرن الماضي، ثم أخذت وتيرة نشر كتب الحديث المحقَّقة تتسارع بصورة لافتة منذ مطلع القرن الحالي.

غير أنه من المؤسف أن نرى الجزء الأكبر مما نشر من هذا التراث العظيم قد نشر دون تحقيق مقبول، أو نشر بكتابة اسم (تحقيق) عليه مع فقد مسمَّاه، وكان من بين المحقِّقين المجوِّدين المعدودين في عصرنا الحالي الأستاذ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله.

فقد حقَّق الأستاذ رحمه الله: علوم الحديث لابن الصلاح، والرحلة في طلب الحديث للبغدادي، وشرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، والمغني في الضعفاء للذهبي، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر، وإرشاد طلاب الحقائق للنووي، وحقَّق نصَّ بلوغ المرام من خلال شرحه الذي سمَّاه بإعلام الأنام.

وفي هذا البحث سوف نحاول أن نرسم الملامح العامَّة للمنهج الذي اتبعه فضيلة الشيخ في التحقيق عمومًا، وفي تحقيق نصوص علم مصطلح الحديث خصوصًا.

١: التواصل الأول مع عالَم التحقيق

كان التعرُّف الأول للدكتور عتر على عالم المخطوطات في مرحلة الدراسات العليا في القاهرة، حيث التقى بأساطين التحقيق فيها، وكانوا من أساتذته، ومنهم: سيد أحمد صقر، ومحمود شاكر، وعبد الوهاب عبد اللطيف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد. وذكر لي أنه كان يتعجَّب منهم عندما كانوا يتحدَّثون عن المخطوطات، فقد كان ذلك بمنتهى السريَّة، وكأنَّ المتكلِّم يبوح بسرٍّ عظيم الخطر، وزيادة على ذلك فقد أوصوه بالتكتُّم الشديد على أخبار المخطوطات، كما كانوا يفعلون.

ثم تطَّلب منه تحضيره لأطروحة الدكتوراه حول "الإمام الترمذي والمقارنة بين جامعه والصحيحين" العودةَ إلى كثير من الكتب المخطوطة التي لم تكن قد

طبعت بعد. ولهذا السبب كان دائم التردُّد في تلك الفترة على قاعة المخطوطات في دار الكتب المصرية، يفتِّش في فهارس مخطوطات الحديث، ويطَّلع عليها، وكان يساعده في ذلك مدير المكتبة آنذاك الأستاذ فؤاد سيد. وقام بتصحيح كثير من أخطاء فهرس مخطوطات الحديث في دار الكتب المصرية بناء على اطلاعه على المخطوط الأصلي، وكان يحتفظ لنفسه بفهرس خاصٍّ من صنعه، يحرص فيه على ذكر مِيّزات المخطوطات التي كان يتفحَّصها بعناية شديدة.

وفي رحلاته إلى تركيا كان يتردَّد إلى مكتبات استانبول، ويساعده الشيخ محمد أمين سراج في الحصول على تصوير ما يريد من المخطوطات التي كان قد جمع لها فهرسًا يتضمَّن أهمَّها وأنفسها، وكان قد تفرَّغ لعمل هذا الفهرس -من قبل- في المكتبة الظاهرية بدمشق مدَّة من الزمن.

فقد كان الوصول إلى المخطوط وتصويره في ذلك الزمن أمرًا عسيرًا للغاية، ولم تكن فهارس المخطوطات مطبوعة تتداولها الأيدي، فكانت الجهود المبذولة للوصول إلى الفهارس، ومن ثَمَّ إلى المخطوط، جهودًا مضنية؛ أما الآن فقد تيسَّر الوصول إلى الفهارس بعد طباعتها ونشرها، وبعد طباعة كتابي بروكلمان وسزكين وترجمتهما للعربية، وبعد انتشار كثير من فهارس على الشابكة؛ بل النشر الرقمي لصور مخطوطات كاملة.

وكان أوَّل عمل تحقيقي لمخطوطات الحديث نهض به الدكتور عتر هو تحقيق كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، لصالح المكتبة العلمية في المدينة المنورة، وذلك على نسخة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة والمكتبة الأحمدية بحلب، وغيرهما، فخرج الكتاب محقَّقا على خمس نسخ: أربع مخطوطة وواحدة مطبوعة.

وكان سبب استخدام النسخة المطبوعة ادِّعاء صاحبها بأنه أعدها على نسخة مخطوطة كانت في رواق الأتراك في الأزهر الشريف، مقابلة على نسخة المؤلِّف. غير أن المحقِّق ظلَّ يجد في نفسه شيئًا من عدم الرضى عن كثرة النسخ المستعملة في التحقيق، وعن كثرة خلافات النسخ التي ذكرها في تحقيقه، حتى أعاد تحقيق

الكتاب مرَّة أخرى، بعد أن توصَّل إلى نسخة مقروءة على المؤلِّف، وقابلها على نسخة في غاية الصحَّة أيضا مقروءة على الحافظ العراقي، مختصرًا بذلك تعليقات الكتاب التي كان يرى أن لا فائدة منها، وأنها ربما تشوِّش ذهن القارئ.

وفي سياق تحقيقه للكتاب ذكر لي قصَّة وقعت له كلَّفته كثيرًا من الجهد والوقت والمال، فقد نشر الزركلي في الأعلام صورة لخطِّ ابن الصلاح على غلاف مخطوط لكتاب علوم الحديث في إحدى مكتبات الهند، فبعد جهد عظيم في الحصول على الصورة تبيَّن له أن النسخة سقيمةٌ جدًّا، ولا صلة لها بخطِّ ابن الصلاح من قريب أو بعيد.

ثم أخرج كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي، وشرح العلل للإمام الترمذي، ومغني الضعفاء للذهبي، وإرشاد طلاب الحقائق للنووي، وهداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك لابن جماعة، وشرح النخبة للحافظ ابن حجر، الذي كان آخر تحقيقاته في علوم الحديث، حيث طلب منه شيخه العلَّامة عبد الله سراج الدين رحمه الله الدين التوقُّف عن الاهتمام بعلوم الدراية، والانتقال للاهتمام بعلوم الرواية.

٢: المنهج العام للأستاذ في تحقيق مخطوطات الحديث (نموذج علوم الحديث لابن الصلاح)

من اللافت أن نجد النموذج المتكامل الناضج في تحقيق نصوص مصطلح الحديث قد تبلور مع ظهور أوَّل عمل تحقيقي ينهض به الأستاذ عتر، وهو علوم الحديث لابن الصلاح. وسوف نختصر الدراسة التي قام عليها تحقيق الكتاب بالنقاط الآتية:

• فكرة عن علم الحديث ونشأته وأدواره، ونقد لآراء بعض المستشرقين في علم الحديث، وأنه يعتني بدراسة السند ويهمل المتن.

• التعريف بابن الصلاح، وهنا نرى الشخصية العلمية للمؤلِّف بارزةً في حسن

الاستنباط والمناقشة، حتى في ترجمة المؤلف، فالترجمة عنده فضاء رحب للبحث، وليست مجرَّد سرد لأخبار المؤلِّف.

• الكلام على عصر ابن الصلاح، وهو يؤكِّد أن الكلام على عصر المؤلِّف يجب أن يكون مختصرًا، ويركِّز على الجانب العلمي، أما الجانب السياسي فيمكن أن يكون مفيدًا في التحقيقات الأدبية؛ لأن الأدباء يتقلَّبون مع الأحداث، بخلاف المؤلَّفات العلمية، فالعلماء كانوا مؤثِّرين ببيئتهم وليسوا متأثرين، ومما يدلِّل على ذلك عدم التراجع العلمي في ظلِّ الانهيار السياسي الذي تلا سقوط الخلافة العباسية. أما الربط بالبيئة العلمية للعصر والشيوخ والتلاميذ والتأثُّر والتأثير العلمي فهو في غاية الأهمية عنده.

• التعريف بالكتاب، ومنهج صاحبه فيه، وثناء العلماء عليه، والدخول من ذلك إلى بيان سبب اختيار الكتاب للتحقيق.

• تحقيق اسم الكتاب.

• وضع الكتاب في سياقه التاريخي من خلال إظهار ما تميَّز به عما سبقه من المؤلفات، وتأثيره في علم المصطلح الذي ظهر بالعناية الكبيرة به من قبل العلماء اللاحقين، شرحًا واختصارًا ونظمًا وتعليقًا وتقييدًا وتنكيتًا..

• اختصر ميِّزات الكتاب بنقاط محدَّدة وواضحة، مثل: الاستنباط الدقيق لمذاهب العلماء وقواعدهم في المصطلح، دون الإكثار من النقل عنهم، تحرير المصطلحات، تهذيب عبارات السابقين ومناقشتها وتعقُّبها، إيجاد نموذج لأنواع علوم الحديث وقواعدها.

• بيان المصادر التي استفاد منها الكتاب، والمصادر التي استفادت من الكتاب، وهو يؤكِّد أهمية هذا بالنسبة للمحقِّق في حال اختلاف النسخ وتطرُّق الاحتمال، فيستعين بما عرفه من هذه المصادر.

• التعريف بالنسخ المعتمَدة في التحقيق، وبيان خطة التحقيق والتعليق.

أما بالنسبة لاختيار النسخ فقد اعتنى الأستاذ رحمه الله في تحقيقاته كلِّها بالنسخ المكتوبة بخطِّ المؤلف أو بخطوط العلماء، والنسخ المقابلة على أصول صحيحة، والنسخ الموثَّقة بالنظر لما فيها من سماعات، أو بلاغات، أو قراءات على المؤلِّف، أو غيره، أو إجازة من المؤلِّف أو من غيره. وهو يعدُّ النسخة الخالية من التوثيق مجهولة، حكمها حكم الراوي المجهول، ويؤكِّد أن أساس نجاح عمل المحقِّق هو حسن اختيار النسخ المخطوطة، وليس كثرتها.

ويعدُّ الأستاذ الوجادة طريقَ الأخذ للمخطوطات عامَّة في عصرنا، وعلى المحِّقق التدرُّب على كيفية تقويمها علميًّا، ويرى أن دراسة طرق التحُّمل والأداء وتثبيتها على المخطوطة أمر مهمٌّ جدًّا في هذا الباب تجب العناية به. وبهذا كان حسن انتقاء النسخ المخطوطة عنده يغني عن كثرة النسخ المستعملة في التحقيق.

ولو نظرنا إلى النسخ المعتمَدة في تحقيق كتاب ابن الصلاح لرأينا أنه اعتمد نسخة (السليمانية ٣٥١) أصلًا، وهي نسخة مقابلة مصحَّحة، بخطِّ مالكها المحدِّث الزاهد أبو علي بن إبراهيم الوسفي، نسخها سنة ٦٤١هـ، في خانقاه الأندلسي بدمشق، نقل معظمها عن أصل منقول عن المؤلِّف ومقروء عليه، ونقل بعضها من أصل المؤلِّف الذي بخطِّه، وقابله به، ثم قرِئت النسخة على المصنِّف، وأثبت عليها خطَّه بمواضع كثيرة، بمثل عبارة: "بلغ اشتراكًا في جمعٍ، والحمد لله"، وكان الفراغ من قراءتها عليه سنة ٦٤١هـ، أي قبل وفاته بعام تقريبًا، فهي آخر نسخة صدرت عن المؤلِّف وارتضاها. ومن أهم القيود التي ترفع من قيمة النسخة أن نجد في آخرها بخطِّ المؤلِّف: "بلغ -وفَّقه الله ونفعه وإياي- من أوَّله إلى آخره سماعًا مني وعرضًا، وأجزت له إجازة جامعة. وهذا خطُّ مؤلِّفه عفا الله عنه وعنهم آمين".

نقل الناسخ في النسخة صورة سماعَين من الأصل، وأثبت بعد ذلك سماع جميع الكتاب على المؤلِّف، ثم تصحيح السماع بخطِّ المؤلِّف، ثم سماعًا على المؤلِّف لجماعة من العلماء، مع تصحيح السماع من المؤلِّف صيغته: "صحَّ له، وفَّقه الله وإياهم وإياي، ولهم ذلك، وكتب مؤلَّفه، عفا الله عنه وعنهم آمين".

والنسخة مقروءة أيضًا على الحافظ العراقي، وعليها خطُّه.

وعلى النسخة حواشٍ فيها فوائد أخذت عن المؤلِّف من أماليه، وعليها تعليقات بخطِّ الحافظ العراقي، واعتُمد فيها المصطلحات التي اعتاد أصحاب الحديث استعمالها في كتابة الحديث، تقع في حوالي مئة ورقة، ومكتوبة بخطٍّ نسخي جيِّد، ومضبوطة بالشكل، وكلُّ ذلك يزيد من قيمة النسخة.

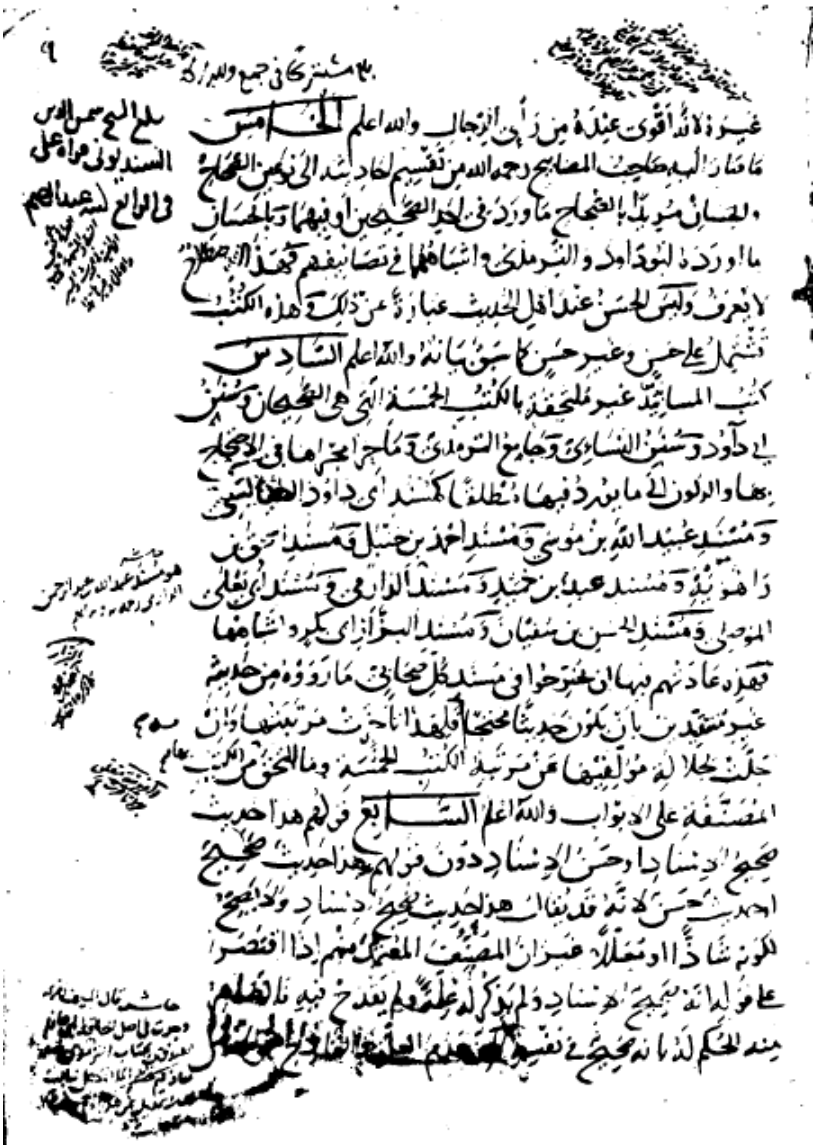

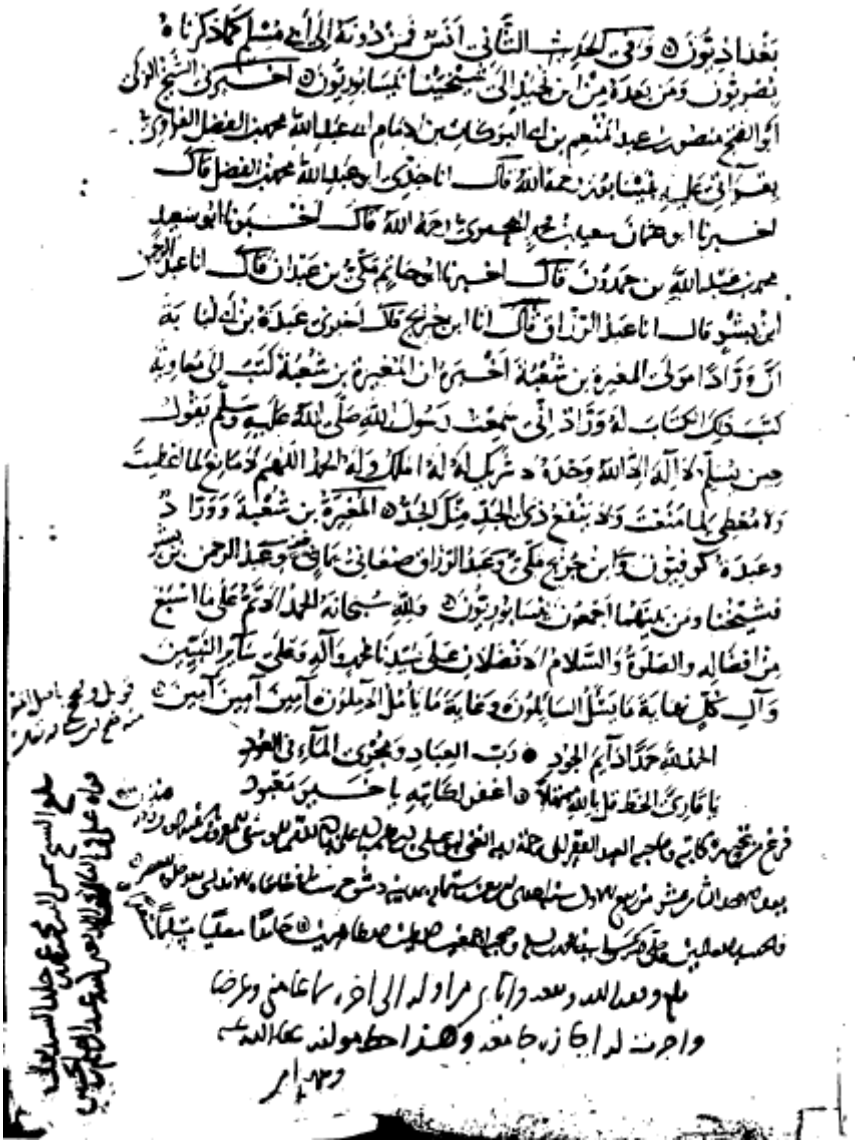

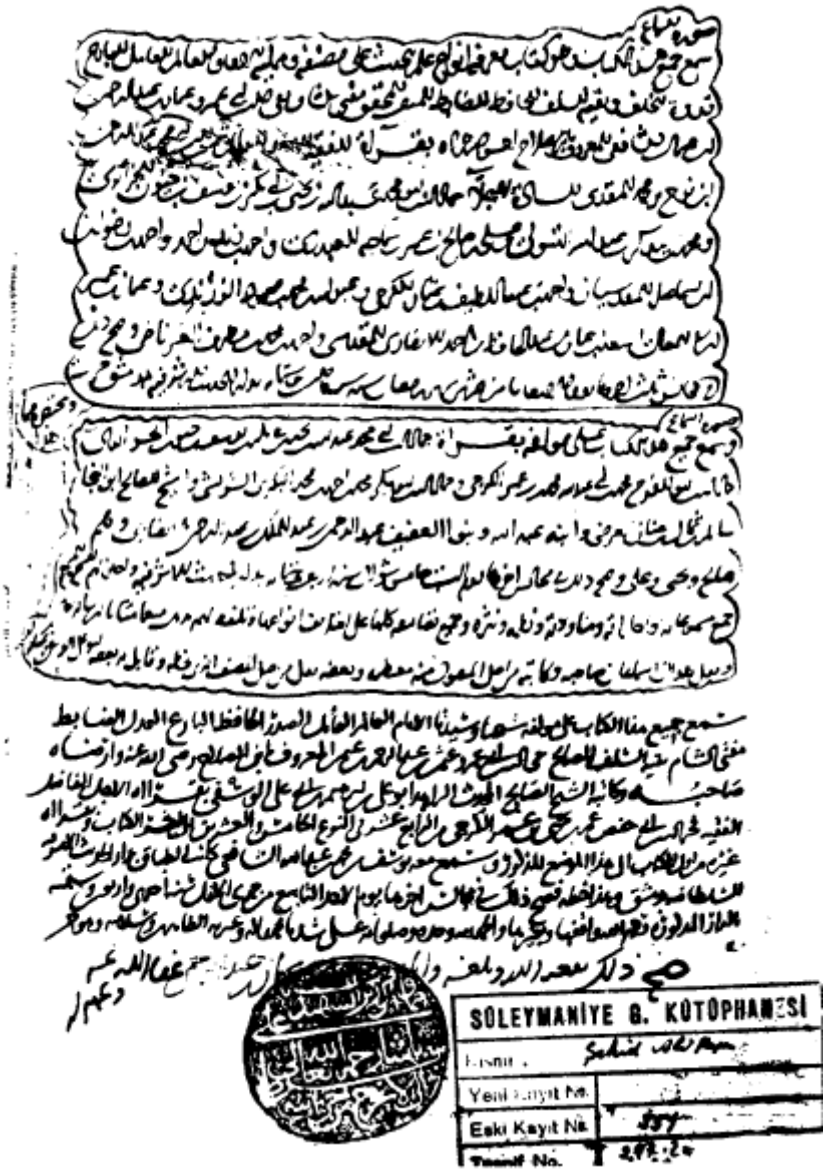
SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No.
Tasnif No.

أما النسخة الثانية التي استعملها المحقِّق فهي نسخة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنوَّرة (٢٢ مصطلح)، وهي نسخة نفيسة في غاية الصحَّة، خطُّها جيِّد، نسخها العالم الشيخ نجم الدين محمَّد بن محمَّد بن الباهي الحنبلي في القاهرة، سنة ٧٩٧هـ، وقرأها بنفسه قراءة بحث ودراية على الحافظ تقي الدين الدجوي والحافظ العراقي، وعلى النسخة خطُّ العراقي في مواضع كثيرة بصيغة: "بلغ الشيخ الإمام نجم الدين نفع الله به قراءةً عليَّ، كتبه عبد الرحيم بن الحسين"، وكتب في نصِّ القراءة سنده إلى المؤلِّف بإسناد عالٍ مسلسلٍ بالأئمة الحفَّاظ. وهذا السند يرتقي للمؤلِّف من طريق آخر غير النسخة الأولى، مع أن كليهما ثبت عليهما خطُّ العراقي قراءة عليه، لكن الأولى أخِذت عن المؤلِّف بواسطة أبي علي الوسفي، والثانية بواسطة ابن المهتار.

وأما النسخة الثالثة فهي نسخة المكتبة الوقفية بحلب (الأحمدية ٣٥٣)، وهي نسخة صحيحة متقنة مقابَلة، منسوخة سنة ٨١٤هـ، مسموعة سماع بحثٍ على الحافظ أحمد ابن العراقي. وعليها أيضا سماعات لعدد من كبار المحدِّثين.

ومن الواضح أن الأستاذ عتر كان يميل إلى الاختصار في الدراسة، مع استيفاء العناصر المهمَّة واستيعابها، وكذلك الاختصار في التعليقات بما لا يخلُّ بغرض التحقيق المتمثِّل باستيفاء عناصر خدمة النصِّ. وكان يؤكِّد أن التحقيق المختصر في تعليقاته أشقُّ على المحِّقق من التحقيق المطوَّل في تعليقاته، ويدلُّ على إتقانه وفهمه وامتلاكه ناصية العلم. فالصعوبة تكمن في انتقاء المعلومات المميَّزة التي من المستحسَن تقديمها لقارئ الكتاب، وصياغتها بصورة مكثَّفة لا ثرثرة فيها، وهذا لا يتأتَّى إلا من العلم والخبرة.

ومن تمام إتقان العمل أنه كان عند إعداد الطبعات الجديدة لكتبه المحققَّة التي اعتمد فيها على العزو إلى مخطوطات لم تحقَّق؛ كان يضيف العزو مرَّة أخرى للكتاب المطبوع فيما لو طبع الكتاب ونشِر خلال الفترة بين طبعة وأخرى.

٣: إضاءات على تحقيق كتاب نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني

قرأ المحقِّق الكتاب أكثر من مرَّة وشرحه بناء على رغبة بعض طلاب العلم، مما كشف له أسباب صعوبة الكتاب التي كان يعاني منها الطلبة، وأوَّلها سوء منهج التحقيق، ثم استعمال الأقواس للفصل بين المتن والشرح، وسوء استعمال علامات الترقيم.

وعندما عاد إلى المخطوطات انكشفت له الأخطاء الشنيعة للمحقِّقين السابقين له التي قلبت المعنى في كثير من المواضع رأسًا على عقب.

ونختصر النقاط البارزة في دراسته للكتاب بما يأتي:

- بيّن المحقِّق ميّزات الكتاب التي جعلت منه أساسًا في علوم الحديث، فكان معروفًا عند خاصَّة أهل العلم وعامَّتهم، وقلَّ أن تخلو مكتبة عن نسخة منه أو نسخ.

- بيَّن المحقِّق مواضع الخلل في الطبعات السابقة، وأهمُّها: أن الكتاب لم يطبع من قبل محقَّقًا على مخطوط معتمَد موثَّق، وكثرة الأخطاء المخلِّة، وإغفال الضبط، والخلو من التعليقات المناسبة، والخلط بين مسائل علم المصطلح، والغلط في ترجمة الأعلام، والقصور في تخريج الأحاديث.

- ترجم المحقِّق للحافظ ابن حجر ترجمة وافية، امتازت بتركيزه على حياته العلمية، وتقسيمها إلى مراحل، فكان ذلك لونًا من ألوان دراسة السيرة العلمية، وليس مجرَّد سردٍ للحوادث التاريخية، وفعل مثل ذلك عند الكلام على مؤلَّفاته، والتأليف عنده، فلم يعتن بذكر أسماء المؤلَّفات فقط؛ بل كان دارسًا لأسلوب تأليف ابن حجر وميزات تآليفه ومنهجها.

- ذيَّل الترجمة بذكر أهم المصادر التي ترجمت لابن حجر.

- بيّن المحقق سبب تصنيف متن النخبة، والابتكار فيه، كما بين سبب تأليف الشرح، وطريقة الدمج فيه (البسط)، بحيث يُقرأ المتن والشرح كنصٍّ واحد.

- درس المحقِّق منهج الحافظ ابن حجر المبتكَر في النخبة الذي اتَّبع فيه طريقة السبر والتقسيم، بناء على دراسة استقرائية لأحوال السند والمتن، وبيّن مزايا الشرح وأهميته.

- جاءت الدراسة في ثلاثين صحيفة، من أصل مئة وسبعين صحيفة هي عدد صفحات الكتاب، فكان حجمها مناسبًا لحجم الكتاب الكلِّي، وكانت مركَّزة استوفت جميع العناصر المطلوبة في الدراسة.

وأما عن ميّزات النسخة المعتمَدة أصلًا في التحقيق فنجملها بما يأتي:

- اطلع الدكتور عتر على كثير من النسخ المخطوطة الموجودة في كثير من مكتبات العالم قبل الشروع بالتحقيق، وتبين له أن هذه النسخ كلَّها متوافقة في مضمونها، عدا خِلافات يسيرة من النُّساخ، وربما كان بعضها من تعديل المصنِّف الإمام ابن حجر، والبقية من سهو القلم.

- وفِّق الدكتور عتر بمجموعة نُسخ صحيحة موثقة توثيقًا علميًّا، حَسَب أصول المحدثين، صوَّرها من مكتبات شتى، وكان التوفيق البالغ أقصى غاية في نسخة صحيحة جدًّا هي الغاية في الصحَّة، حتى قد سُجِّلت وكان لها ذِكر في التاريخ، فجعلها الأصل في هذا العمل.

- هذه النسخة المشار إليها هي المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم /٤٨٩٥/ وعدد أوراقها /٣١/ ورقة، أسطر صفحاتها ٢٠ سطرًا أو ١٨، بخطٍّ نسْخي واضح جيِّد، ثَبَت عنوان الكتاب على ظهر الورقة الأولى هكذا "كتاب نُزهة النظر في توضيح نُخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر".

وقد ثبت العنوان بهذا اللفظ في كلِّ المخطوطات الصحيحة التي وقف عليها من هذا الكتاب، مما يدلُّ على أن ما زُعم مُحقَّقًا من الطبعات الموجودة سابقًا ليس محقَّقًا.

- أُدمِج المتن مع الشرح في هذه النسخة، لم يُميَّز عنه بشيء إطلاقًا، وكُتِبت

على حواشيها تعليقات لبعض العلماء. وهذه النسخة قد كتبت في آخر عهد المؤلف، وقرئت عليه قراءة بحث، وأثبت خطَّه عليها بذلك في مواضع كثيرة بلغت خمسًا وعشرين؛ بل أثبت خطَّه مرتين على الصفحة الواحدة في بعض الأحيان.

- وجاء في آخرها بخطِّ الناسخ نفسه ما يأتي: "علَّق ذلك لنفسه الفقير المذنب العاصي أحمد بن محمد بن الأخْصاصي الشافعي، اللهم أحسن إليه ولوالديه ولجميع المسلمين، ووافق الفراغُ من نسخها في العشر الأوسط من شهر رمضان، سنة إحدى وخمسين وثمان مئة"، أي قبل وفاة المؤلف الحافظ ابن حجر بسنة واحدة وثلاثة أشهر تقريبًا.

- وبإزاء ذلك كتِب في الحاشية بخطِّ المصنف: "بلغ صاحبُه قراءة عليَّ. كتبه ابن حجر".

- وعلى آخر النسخة تحت هذا في الطرف الأيسر من أسفل الصفحة بلاغُ قراءة النسخة إلى آخرها على الشيخ عبد القادر الصَّفوريِّ، سنة ١٠٧٧هـ، وبجانبه إلى اليمين وَقف على طلبة العلم مؤرَّخ بسنة ١٢٤٦هـ.

- وابن الأخصاصي المذكور هو الفقيه المحدِّث شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي المعروف بابن الأخصاصي، وُلد سنة ٨١٨هـ بدمشق، ونشأ فيها، وقرأ الفقه على العلماء، وسمع الحديث على ابن ناصر الدين. قال السخاوي: "ارتحل فقرأ على شيخنا شرح النخبة له بحثًا، وأذن له، وكتب بخطِّه أشياء، كالبخاري وشرحه لشيخنا. وسمعت من نظمه وفوائده، وكان الغالبُ عليه الخير والانجماع والتواضع والتودُّد والرغبة في الصالحين، مات سنة ٨٨٩ بدمشق. له في الوعظ حادي الأسرار في عشر مجلدات، وشرح أبي شجاع في الفقه.[١]

وهذا التعريف مهمٌّ للغاية، واستنبط منه المحقِّق:

١- أن ابن الأخصاصي كان من أهل العلم، وخصوصًا في الفقه والحديث،

١ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي مختصرًا ١٩٤/٢.

وهذا يجعل نَسخه في غاية الإتقان.

٢- أنه كان من خواصِّ الحافظ ابن حجر، وأنه كان عُمدةً عنده في النَّسخ، حتى نَسخ له شرح البخاري، أي فتحَ الباري.

٣- الأهمية البالغة لنُسخته من شرح النُّخبة، حتى ذكرها السخاوي، وأنه قرأها على مؤلِّفها بحثًا، أي قراءة تدقيق وشرح لها، وذلك يُوجب تدقيقَ المصنِّف لها كلمةً كلمةً.

وهكذا جاءت هذه النسخة أُمًّا في الصحَّة والثبوت، تُغني عن غيرها، فجعلها المحقِّق الأصل في إثبات نصِّ الكتاب. واكتفى بها عن غيرها من النُّسخ الصحيحة المتعدِّدة التي وقف عليها وصَوَّر جُملة منها.

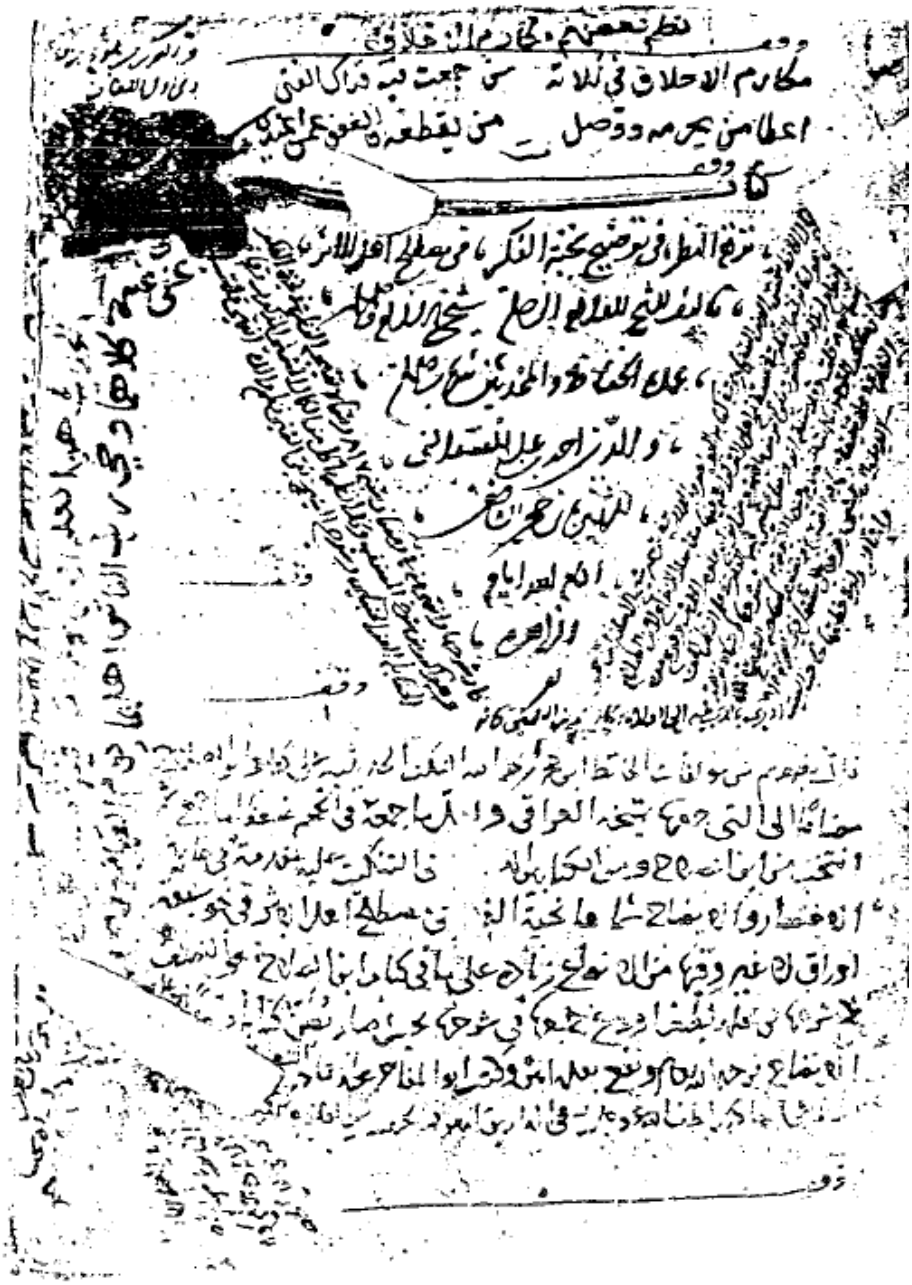

صفحة العنوان من النسخة الخطية

صحيفة عليها خط الحافظ ابن حجر في الهامش الأيسر آخر الصفحة

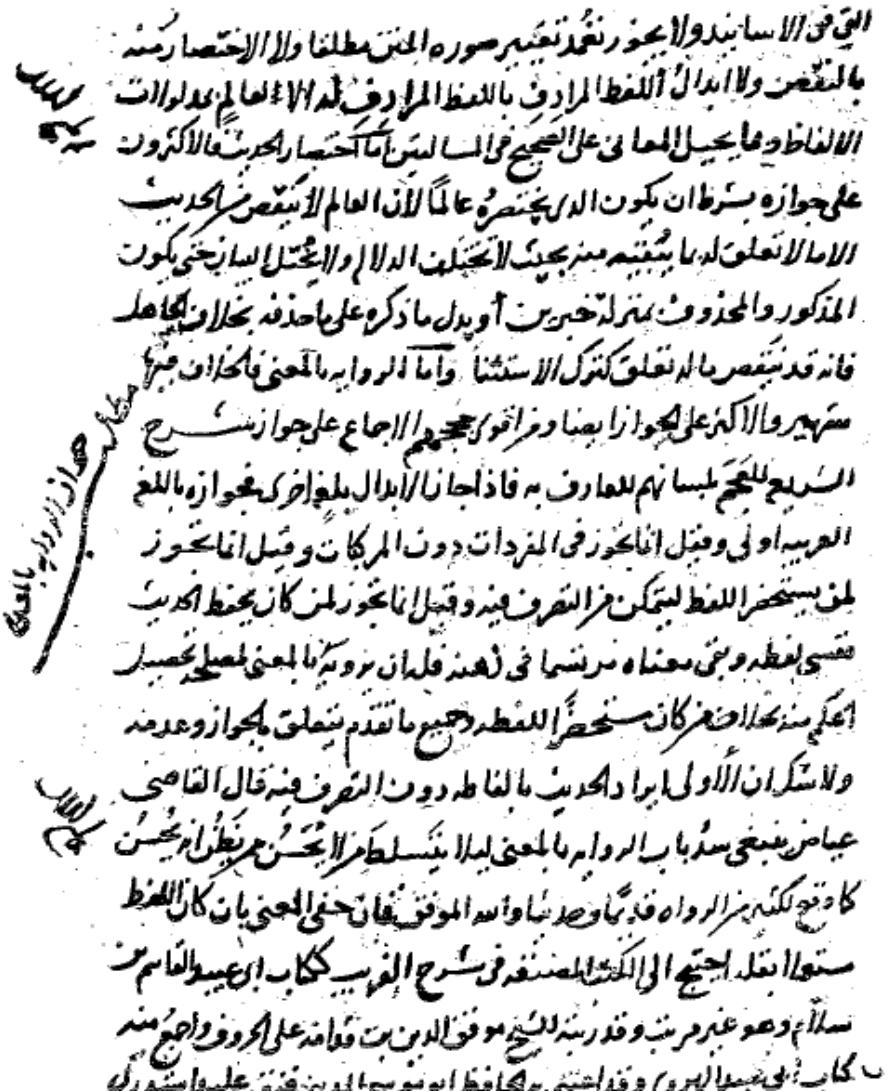

صحيفة عليها خط الحافظ ابن حجر في موضعين «ثم بلغ كذلك» أي قراءة بحثٍ عليّ

الصفحة الأخيرة ، عليها خط ابن الأخصاصي بتعليقه الكتاب ـ أي نسخه ـ لنفسه وفي الحاشية اليمنى بخط الحافظ ابن حجر : «بلغ صاحبه قراءة عليّ . كتبه ابن حجر»

وأما عن خطته في التحقيق والتعليق وخدمة النصِّ:

- لم يفصل المحقِّق بين الشرح والمتن؛ لأن الشرح وضعه المؤلِّف أصلًا على طريقة المزج، لكنه ميَّز التعاريف بالخط الأسود لأنها تمثِّل قاعدة البحث، وهذا ما سهَّل وضع علامات الترقيم بصورة سليمة تيسِّر القراءة على دارس الكتاب، وأورد متن النخبة منفردًا آخر الكتاب، مبِّينًا أرقام صفحات الشرح التي تتناول المتن، فأفاد فهرسًا موضوعيًّا تفصيليًّا شاملًا للكتاب والتعليقات عليه.

- هذه الطريقة تجمع فكر القارئ، ولا تجعله متشتَّتا بين المتن في الأعلى والشرح في الوسط وتحقيقات المعلِّق في الأسفل، كما كان الحال في الطبعات السابقة.

- أضاف عنواناتٍ لفقرات الكتاب في حواشيه، تبيِّن موضوعات الكتاب، ورقّمها بأرقام متسلسلة تسهيلًا للدراسة والمراجعة، وصنع الفهارس.

- وعلى هذا فقد كانت هناك ابتكارات عديدة من المحقِّق في سياق خدمة الكتاب.

- تناولت التعليقات تعريفًا للأنواع التي لم يصرِّح ابن حجر بتعريفها.

- ربط المحقِّق أجزاء الكتاب ببعضها لتيسير فهم الكتاب وطريقته في عرض الأنواع.

- تناولت التعليقات إيضاح الغامض من العبارات، وتكميل فوائد الكتاب بإيجاز شديد، وبعض الانتقادات والتصحيحات، وضبط التعاريف، وبيان تطور دلالات المصطلحات الحديثيَّة.

- خرَّج المحقِّق الأحاديث مراعيًا القدر اللازم الذي يحتاج إليه مقام الاستشهاد بالحديث.

- ترجم للأعلام الواردة بالكتاب مراعيًا الاختصار الشديد.

- أضاف للفهارس فهرسًا موسوعيًا للمصطلحات والعناوين الرئيسة، مرتَّبة على حروف المعجم.

٤: إضاءات على تحقيق كتاب إرشاد طلاب الحقائق للإمام النووي

- هو الاختصار الأول الذي قام به النووي لكتاب علوم الحديث لابن الصلاح.

- بيّن المحقق سبب اختيار الكتاب للتحقيق، وهو كون الإمام النووي من الرواد الأوائل في توطيد علم المصطلح، فكتبه من المصادر في هذا الباب، فهو يحقِّق كثيرًا من مسائل العلم بعد ذكر اختلاف من سبقه فيها، مع التدقيق والاستدلالات والمناقشات. وإخراجُ مثل هذا الكتاب يحيي الصلة بالمصادر القديمة ويقربها إلى طالب العلم المعاصر، ويوثق الصلة بالتراث العلمي.

- ترجم المحقِّق للمؤلِّف ترجمة وافية موسَّعة غنية بالتعليقات المفيدة، مع دراسة لشخصية الإمام النووي من خلال ترجمته، وهكذا لم تكن الترجمة مجرَّد نقل سيرة حياته من المصادر؛ بل ظهرت فيها شخصية المحقِّق، وذيَّل الترجمة بمصادر كتبت عن الإمام النووي.

- ركَّز المحقِّق على منهج المؤلِّف في الكتاب، وتعهُّده بأنه لا يخلُّ بشيء من مقاصد الكتاب الأصلي (كتاب ابن الصلاح)، واجتهد المحقِّق في تحديد الفترة التي ألَّف فيها الكتاب، واستنتج من المقدِّمة النقاط التي تدور حولها منهجية تأليف الكتاب، واختصرها في أربع نقاط.

- اعتمد في التحقيق على نسختين:

الأولى: نسخة مكتبة كوبريلي، تحدث عن خوارج النص في النسخة، من تملُّكات ووقف ومطالعات وتعليقات لتقي الدين الحصني وهو من علماء الشافعية في دمشق (ت ١١٢٩هـ)، مشهور بتعليقاته المهمَّة على الكتب التي يقتنيها، ومن المعلوم أن وجود مطالعات العلماء للمخطوط والتعليق عليه يزيد من نفاسة النسخة، لا سيما إذا كانت مقابلة ومنقولة عن نسخة نفيسة.

كما تحدَّث عن حرد المتن الذي بين فيه الناسخ محمد بن غازي بن عبد الرحيم أن النسخة كتبت في حمص سنة ٧٣٢هـ، أي بعد وفاة المؤلف بست وخمسين سنة.

وهذه النسخة مأخوذة عن نسخة كتبت في عصر المؤلف، واضحة، بيَّن الناسخ ضبط المواضع المشكِلة فيها، ومقابلة على الأصل، كما تشير إليه الدوائر المنقوطة في النسخة وعبارات "بلوغ المقابلة" المتكرِّرة من أول النسخة إلى آخرها.

- **الثانية**: نسخة مكتبة آيا صوفيا: وهي منقولة عن نسخة كتِبت في عصر المؤلِّف أيضًا؛ لكن عن أصل آخر غير الذي نقلت منه الأولى، كما توصَّل إلى ذلك المحقِّق من خلال مقارنة النسختين، وهذه نسخة جيدة، خطها جميل، مقابَلة أيضًا على الأصل الذي نقِلت منه.

- اصطلح المحقق لنفسه استعمالًا خاصًّا للأقواس في المتن، وذلك بسبب وجود الزيادة في كلٍّ من النسختين على النسخة الأخرى، فميَّز الزيادة من النسخة الأصلية بحصرها بين هلالين، والزيادة من النسخة الثانية بحصرها بين معقوفتين.

- بيَّن المحقِّق أن من منهجه في التحقيق عدم الإشارة إلى فروق النسخ عديمة الفائدة، كالاختلاف اليسير بإعجام بعض الحروف، واختلاف الإملاء، وسهو القلم الواضح.

- أعطى المحقِّق الكتاب حقَّه من الخدمة من خلال عزو النصوص، وتخريج الأحاديث، وهنا يكتفي بما يحقِّق الغرض، وهو الاطمئنان إلى توثيق نسبة النصِّ أو الحديث، ولا يزيد على ذلك، فإن الزيادة برأيه استطراد مشوِّش للقارئ.

- الأمر الآخر الذي يعطيه أهميَّة خاصة في التهميش (إضاءة النص) هو بيان موضع الشاهد في الحديث، وهذا الأخير يغفل عنه كثير من المحقِّقين.

- ذيَّل المحقِّق الكتاب بسبعة أنواع من الفهارس تمكِّن القارئ من الإفادة القصوى من الكتاب، وأهمها معجم مصطلحات الكتاب.

اللوحة الأولى لمخطوطة كوبرولو

٤٦

٤٧

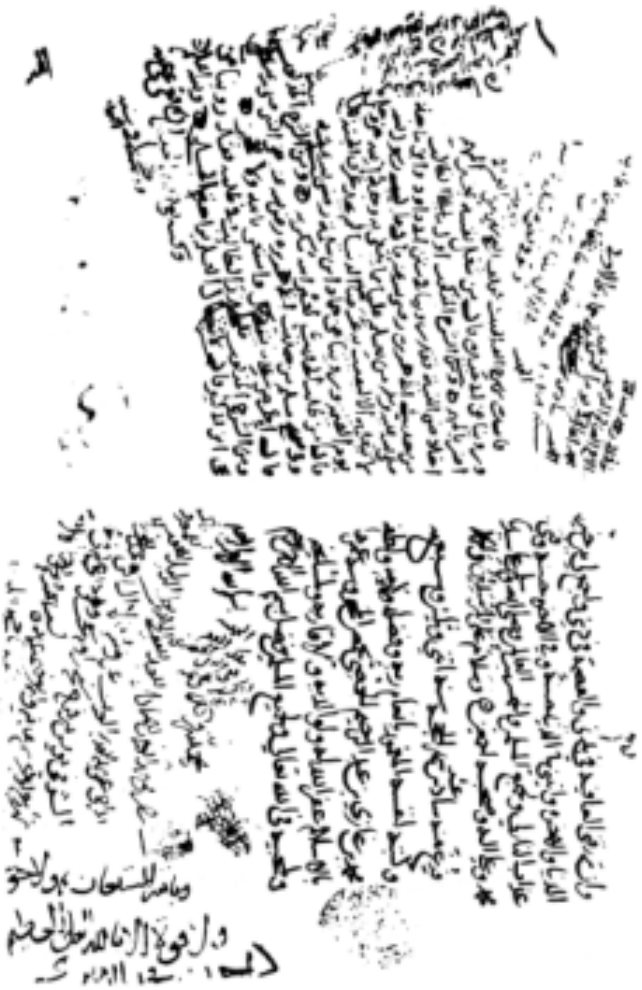

اللوحة الأخيرة لمخطوطة كوبرولو

٤٨

اول نسخة ابا صوفية

خاتمة

في وقت اشتدَّ فيه الخلاف في قضايا أساسية في تحقيق النصوص، بين من كان يميل إلى إخراج النصِّ إخراجًا صحيحًا منقَّحًا، دون أيّ خدمة للنصِّ، ويدَّعي أن هذه الخدمة من مكمِّلات التحقيق، ومن كان يثقل النصَّ بهوامش واستطرادات تكوِّن بمجملها كتابًا آخر محشورًا مع النصِّ المحقَّق، طاغيًا عليه؛ ظهرت مدرسة الاعتدال التي كان من روَّادها الأستاذ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، وكان ذلك بالنسبة له متزامنًا مع صلته الأولى بالتحقيق.

كان الأستاذ يعمل في تحقيقاته برويَّة وصمت، ولم يكن من منهجه الاستعجال، ولذلك ربما عرف بعض الباحثين بأنه يعمل على تحقيق كتاب ما، فيسرع بإخراجه كيفما اتفق، لكن الأستاذ لا يأبه بهذا، ويستمرُّ في عمله بإتقان، وهو على يقين أن أهل العلم يميزون بين الطبعات المتقَنة النافعة وغيرها.

وكان بعضهم يسرق النسخ التي صورها الأستاذ بعد أن بذل جهدًا كبيرا في الحصول عليها، من المكان الذي أخرج صورها له، ومع الأسف ربما يكون هذا المكان مؤسَّسة رسمية.

كان الأستاذ يسمِّي هؤلاء وأمثالهم من الذين يخرجون الكتب بصورة مشوَّهة صِبْية دور النشر، ويعدُّ الكتاب المحقَّق بهذه الصورة كـ "لا تحقيق".

إن المنهج الذي اعتمده الأستاذ رحمه الله في تحقيقاته، والذي رسمنا معالمه في هذا البحث، يمثِّل أنموذجًا رفيع المستوى للتحقيقات العلمية، وهو المنهج الذي بنينا عليه برنامجنا في تحقيق النصوص في "دار المخطوطات" في وقف السلطان أحمد بإستانبول، ويستفيد منه الآن مئات طلبة العلم الذين يشاركون في دورات "الإجازة في علوم المخطوط" التي نقيمها بشكل دوري مرَّتين كلَّ عام، بمستويات متدرِّجة: تأسيسيَّة، ومتقدِّمة وتخصُّصيَّة.